من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الرسالة العاشرة

رسالة السير والطير

مقدّمة

تدورُ الرِّسالةُ حولَ شرحِ حديثِ : « سِيرُوا ؛ سَبَقَ المُفرِّدُونَ »[1] ، وانطَلَقَ منهُ السُّهروردِيُّ إلىٰ بيانِ مسائلَ مُهمَّةٍ يُعنىٰ بها السَّالكُ ، وتَتعلَّقُ بالمَقاماتِ والأحوالِ ؛ فشَرَحَ المرادَ بالأمرِ النبويِّ الكريمِ : « سِيرُوا » ، ويُقصَدُ بالسَّيرِ هنا : تَنقُّلُ السَّالكِ مِن مَنزِلٍ إلىٰ مَنزِلٍ[2] ، ثمَّ بيَّنَ ما يَنبغي أن يَتقدَّمَ علىٰ هٰذا السَّيرِ مِنَ التَّحقُّقِ بحقائقِ الإسلامِ وحقائقِ الإيمانِ ، وبيَّنَ مَنازلَ هٰذا السَّيرِ ؛ وهي المَقاماتُ المعروفةُ عندَ الصُّوفيَّةِ ، وتَكلَّمَ فيها عن مَقاماتِ الزُّهدِ والتَّوكُّلِ والرِّضا وغيرِها ، وأَوضَحَ كيفَ تكونُ بدايةُ السَّيرِ .

ثمَّ انتقَلَ إلى الكلامِ على الطَّيرِ ؛ وهي ما يَنتقِلُ إليهِ السَّالكُ بعدَ انتهاءِ سَيرِهِ ، ويُقصَدُ بالطَّيرِ : ما يُعرَفُ في اصطلاحِ التَّصوُّفِ بـ (الأحوالِ) ؛ فكَشَفَ عن دقيقِ الفَرقِ بينَ السَّيرِ والطَّيرِ ببراعةٍ فائقةٍ ، ألا تَرَىٰ أنَّهُ قالَ : (والسَّيرُ جِدُّ العبدِ ، والموهبةُ تَدارُكُ الحقِّ ، وفي تَدارُكِ الحقِّ طيرٌ لا سيرٌ)[3] ، علىٰ أنَّهُ قدْ أفسَحَ في كتابِهِ « عوارف المَعارف » المجالَ للتَّفريقِ بينَهُما ؛ وذٰلكَ في البابِ الثَّامنِ والخمسين منهُ .

والشَّيخُ السُّهروردِيُّ عندَما يَستعمِلُ مصطلحاتِ التَّصوُّفِ الدقيقةِ ؛ فإنَّهُ يَستعمِلُها بدقَّةٍ مُتناهيةٍ ، ويَضَعُ المُصطَلَحَ ببراعةٍ بالغةٍ في مَوضِعِهِ .

---

(١) سيأتي تخريجُه في الرسالة (ص ٨٨٣) .

(٢) يُنظر في مصطلحِ (السَّير) : « مُعجَمَ مصطلحاتِ الصُّوفيَّةِ » لعبد المنعم الحفني (ص ١٣٦) .

(٣) وينظر « أبو حفص عمر السُّهروردي ؛ حياتُه وتصوُّفُه » (ص ٧٠) .

وصف النّسخ المعتمدة في التّحقيق

مخطوطُ السَّيرِ والطَّيرِ من فُتوحاتِ العارفِ باللهِ تعالىٰ أبي عبدِ اللهِ عمرَ بنِ محمَّدٍ السُّهرَوَرْدِيِّ قدَّسَ اللهُ سِرَّه ، مُشترىً من تَرِكَةِ قاسم باشا ، وأُضِيفت : (٢٦ إبريل ١٨٨١ م) ، مخطوطٌ بدارِ الكتبِ المصريَّةِ رقم (٣٣٠) مجاميع ، في (٨) ورقات .

ورمزنا لها بـ : (أ) .

ونسخةٌ أخرىٰ بمكتبةِ السُّليمانيَّةِ بإستانبول بعنوانِ : « رسالةُ الطَّيريَّةِ » للسُّهرَوَرْدِيِّ ، نور عثمانية ، الأرشيف (٢٤٠٢) رقم التَّصحيحِ (٩٢٧ = ٢٩٧،٢) في (٥) ورقات .

ورمزنا لها بـ : (ب) .

ونسخةٌ ثالثةٌ ضِمنَ مجموعةٍ مِنْ : « أسئلةٍ سُئِلَ عنها السُّهرَوَرْدِيُّ شهاب الدِّينِ وأجوبتِه عليها وجُملٍ من كلَامِه ووصاياه » ، نسخةٌ كُتبت في القَرنِ الثَّامِنِ الهِجرِيِّ بمعهدِ إحياءِ المخطوطاتِ العربيَّةِ بالقاهرةِ ، (٢٩ تصوُّف) ، الورقتان (١٦٧ ـ ١٦٨) .

ورمزنا لها بـ : (ج) .

وتوجدُ منها عشرُ نُسَخٍ عِلاوةً علىٰ ما ذكرنا ؛ وهي كالآتي :

العراق :

مكتبةُ الأوقافِ العامَّة في بغداد ، برقم (١٣/٧٠٧١) ، ورقم (٥/٩٧٧٨) ، وكلاهما في ورقةٍ واحدةٍ .

تركيا :

١ ـ الشَّهيد علي : برقم (١٣٩٣) ، الأوراق (٦٠ ـ ٦٣) .

٢ ـ كوبريلي : برقم (١٥٨٩) .

٣ ـ بروسه أولو جامع : تصوف (٥/٦٥) .

إيران :

مكتبة رَضَوِي برقم (٦١١) ، ورقم (١١٤٥٢) والتي كتبت في (١٠١٩ هـ) وقد طبعت الأولىٰ في طهران (١٩٩٣ م) ضمن مجموعةِ أعمالِ المقتولِ .

آذربيجان :

معهد المخطوطات العربية في باكو برقم (٤٤١٠/٢٧٨٥ ـ b)

وهـٰذا الرَّقمُ يتوافقُ مع رقمِ مَخطوطِ « وَصيَّةِ السُّهروردِيِّ لولدِه » في نفس الدَّولةِ والمركَزِ .

ألمانيا :

١ ـ مكتبة الدَّولة ببرلين : برقم (٣٣٠٤) .

٢ ـ مكتبة جامعة توبنغن : برقم (١١/٨٩) الأوراق (١٠٦ ب ـ ١٠٨ب) .

نماذج من صور المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق

المفردون قيل من المفردون يا رسول الله قال المستهترون

بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة

خفافا خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

في هذا الحديث لاصحابه خاصة ولامته عامة

فقد قال صلى الله عليه وسلم قولي للواحد كقولي

للجماعة امرهم بالسير بعد تحققهم بحقايق الاسلام

ثم التحقق بحقايق الايمان ثم التحقق بالسير فمن يتحقق

بالاسلام كيف يومر بالتحقق بحقايق الايمان ومن لم

يتحقق بالايمان كيف يومر بالسير فالتحقق بالاسلام

اجتهاد والتحقق بالايمان سلوك ثم بعد السلوك

السير المامور به قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فالمجاهدة

هي

نسخة دار الكتب المصرية (أ)

متصل ازله بابده وابده بازله فاحترقت انوارهم
وصفت اسرارهم وتكاملت انوارهم فظيرا لهم وصف
الباطن وسيرهم وصف الظاهر فظيرالهم وصف
الارواح وسيرهم تقوية القلوب وسلوكهم تهذيب
النفوس واجتهادهم اول الامر واساسه فالطالب
سايروسالك ومجتهد ومن اشار الى شئ من الطيب
منحرم عليه قاعدة الكسب الاجتهاد بتحقيق مباني
الاسلام فهو مدع كذاب الا ان يكون مفتتنا توأب
امن طلب بالعبودية لا يجده ومن طلبه به يوشك
ان يجده ... الذكر يمنعني والوجود يطمسني
والحق يمنع عن هذا وعن ذاك ... ...
... ... فلا وجود ولا ذكر اسرّ به
احيى فواري اذا ناديت اياكا ... تمت الرسالة

بحمد الله وعونه قدس الله سر
منشئها ونفعنا به وبالمسلمين

نسخة دار الكتب المصرية (أ)

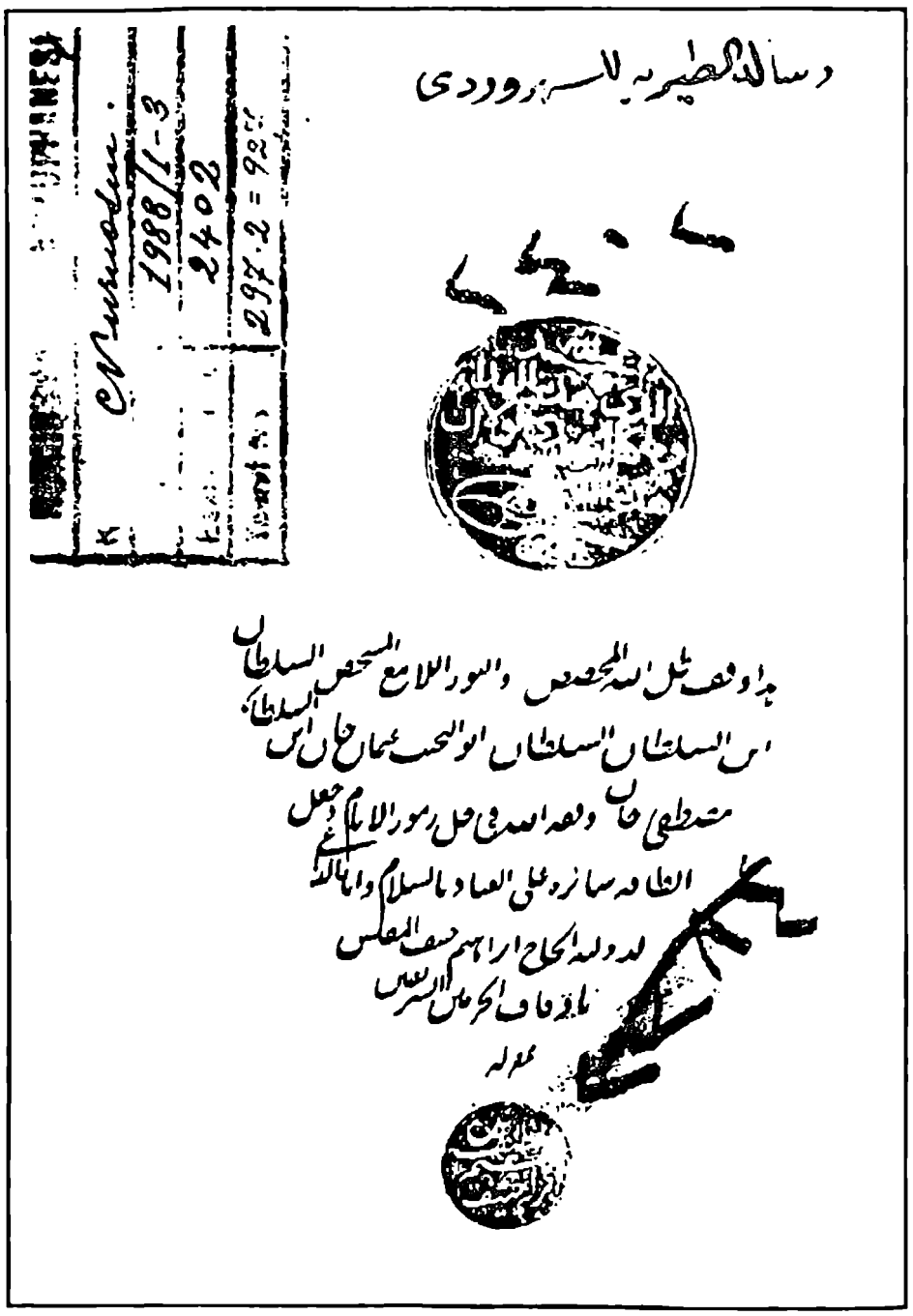

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سير واسبق المفردون

قيل من المفردون يا رسول الله قال المستهترون

بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا

القيامة خفافا قال الشيخ شهاب

الحق والدين عمر ابن محمد السهروردي نور الله مضجعه

في السير الطير خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث

لاصحابه خاصة ولامته عامة وقد قال عليه السلام قولي

للواحد كقولي للجماعة امرهم بعد تحققهم بحقايق الاسلام ثم

التحقق بحقايق الايمان بالسير فمن لم يتحقق بحقايق الاسلام

كيف يؤمر بالتحقق بحقايق الايمان ومن لم تتحقق

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

لم يحيوهم حدود الاسماء والصفات ولم يسبهم غير اقطار ذكر
الذات فصار لهم طيران في جو فضاء التوب في مشيع
غير محدود متصل ازله بابده وابده بازله فاخترقت
اوزارهم فطيرانهم وصف الباطن وسيرهم وصف الظاهر
وطيرانهم حظ الارواح وسيرهم تقوية القلوب وسلوكهم
تهذيب النفوس واجتهادهم اول الامر واساسه فالطائر
سايرو سالك ومجتهد ومن اشار الى شيء من الطير
منخرم عليه قاعدة الاجتهاد بتحقيق معاني الاسلام
فهو مدع كذاب الا ان يكون منتسبا توابا تمت
الرسالة الطيرية بحمد الله
وحسن توفيقه

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

رسالة السير والطير

من فتوحات العارف بالله تعالى

أبي عبد الله عمر بن محمد السهروردي

قدس الله سره

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصَلَّى اللهُ علىٰ سَيِّدِنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ

قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « سِيرُوا ؛ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ » ، قيلَ : مَنِ المفرِّدُونَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « ٱلْمُسْتَهْتَرُونَ[1] بِذِكْرِ ٱللهِ ، وَضَعَ ٱلذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ ، فَوَرَدُوا ٱلْقِيَامَةَ خِفَافاً »[2]

خِطابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في هٰذا الحَديثِ لأَصحابِهِ خاصَّةً ، ولأُمَّتِهِ عامَّةً ، وقدْ قالَ صلى الله عليه وسلم : « قَوْلِي لِلْوَاحِدِ كَقَولِي لِلْجَمَاعَةِ »[3] ، أمرَهُم بالسَّيرِ بعدَ تَحقُّقِهِم بِحقائقِ الإسلامِ ، ثمَّ التَّحقُّقِ بِحقائقِ الإيمانِ ، ثمَّ التَّحقُّقِ بالسَّيرِ ؛ فمَنْ لمْ يَتحقَّقْ بحقائقِ الإسلامِ . . كيفَ يُؤمَرُ بالتَّحقُّقِ بِحقائقِ الإيمانِ ؟! ومَنْ لمْ يَتَحقَّقْ بحقائقِ الإيمانِ . . كيفَ يُؤمَرُ بالسَّيرِ ؟!

فالتَّحقُّقُ بالإسلامِ اجتِهادٌ ، والتَّحقُّقُ بالإيمانِ سُلوكٌ ، ثمَّ بعدَ السُّلوكِ السَّيْرُ المأمُورُ بِهِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[4] .

---

(١) ومعنى الحديث هنا : هو نصيحة من الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بأن يكون سيرهم وتعاملهم مع الله تعالىٰ كما يسير من سبقهم من المفردين ؛ وهم الذين تفردوا وتخلوا عن أي شيء ، وانقطعوا لذكر الله تعالىٰ ، والمستهترون ؛ تعني : المولعين بذكر الله دون غيره ، وهنا يقول ابن منظور في لسان العرب : (المفردون : الشيوخ الذين كبروا في طاعة الله وأهتروا في ذكر الله ؛ أي : خرفوا وهم يذكرون الله) . انظر : « لسان العرب » (هـ ت ر) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) والترمذي (٣٥٩٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بنحوه .

وللحكيم الترمذي رسالة بعنوان : « مسألة في وصف المفردين » من مطبوعات دار الفتح بالأردن ، يحسن مراجعتها لمزيد الفائدة ، وفي (ب) زيادة : (قال الشَّيخُ شهابُ الحقِّ والدِّينِ : عمرُ بنُ محمَّدٍ السُّهرَوَرْدِيُّ نوَّرَ اللهُ مَضجَعَهُ في السَّيرِ والطَّيرِ) ، جعلَها النَّاسخُ فرقاً بين الحديثِ وشرحه .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٦٧٥) .

(٤) سورة العنكبوت : (٦٩) .

فالمُجاهَدَةُ هي أوَّلُ البِدَايَةِ ، والهِدايةُ هيَ مُرتَّبةٌ عليهَا ؛ فمَنْ أحكَمَ مَبانِيَ الإسلامِ . . يُرجَىٰ أنْ يكُونَ مِنْ أهلِ السُّلوكِ ، ومَنْ لمْ يُحكِم مَبانِيَ الإسلامِ ، ولَم يَثبُتْ قَدَمُهُ في الاجتهادِ . . لا طَمَعَ لَهُ في السُّلُوكِ ؛ فإنَّ مَثابةَ الاجتهادِ مِنَ السُّلوكِ كمَثابةِ الاستِنجاءِ مِنَ الوُضوءِ ؛ فمَنْ لا استِنجاءَ لهُ . . لا وُضوءَ لهُ ، ومَثابةُ السُّلُوكِ مِنَ السَّيرِ كمَثابةِ الوُضوءِ مِنَ الصَّلاةِ ؛ فمَنْ لا وُضوءَ لهُ . . لا صَلاةَ لهُ .

وقدْ أخطأَ قَومٌ طَرِيقَ الصَّوابِ ، وأَخَلُّوا بما وجَبَ عليهِم في مَنطُوقِ السُّنَّةِ والكِتَابِ ، وادَّعَوا أنَّهُم مِن أهلِ السُّلوكِ ، فَدَعوَاهُم زُورٌ وبُهتانٌ ، وإثمٌ وعُدوَانٌ ؛ لأنَّ الطَّرِيقَ إلى السُّلوكِ مَسدُودٌ قبلَ الاجتهادِ .

والسُّلوكُ كما ذَكَرناهُ : هو التَّحقُّقُ بحقَائقِ الإيمانِ ، وهُم حرَّفُوا الكلامَ عن مَواضِعِهِ ، واعتَقَدُوا السُّلوكَ غيرَ ما هو مَعرُوفٌ بهِ .

فالاجتهادُ أوَّلُ الطَّرِيقِ ؛ وهو التَّحقُّقُ بحقَائقِ الإسلامِ ، ومِنْ ضَرُورَةِ ذٰلكَ : صِحَّةُ التَّوبةِ ؛ حتَّىٰ يَبقَى المُجتَهِدُ تحتَ عُقْمَةِ التَّحقُّقِ بالإسلامِ ؛ حتَّىٰ لا يكتبَ عليهِ صَاحِبُ الشِّمالِ شَيئاً ، وهٰذا لِخَواصِّ المُسلِمينَ ، لا لِعَوامِّهِم .

فَإذَا تَحقَّقَ بالاجتهادِ . . تَرقَّىٰ إلىٰ حقَائقِ الإيمانِ ، ويَصِيرُ مِن أهلِ السُّلوكِ .

ومِن ضَرُورةِ ذٰلكَ : التَّحقُّقُ بِقَولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[1] ، فقَولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] لعوامِّ أهلِ الإيمانِ ، و﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ لخواصِّ أهلِ الإيمانِ .

والتَّقيُّ حَقَّ التُّقاةِ زِياداتٌ يتَّقِيهَا ، غيرَ ما تَصِحُّ بهِ تَوبتُهُ في رُتبةِ الاجتِهادِ ؛ وهو التَّحقُّقُ بالإسلامِ ـ وهو كالخوضِ فيما لا يعني قَولاً وفِعلاً ـ ولُزومُ المُحاسَبةِ وَدَوامُ المُراقَبةِ والرِّعايةِ وإلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ثمَّ إذَا تَحقَّقَ بِذٰلكَ . . صار سَالِكاً ، وعندَ

---

(١) سورة آل عمران : (١٠٢) .

(٢) سورة التغابن : (١٦) .

ذٰلكَ يَدخلُ تحتَ أَمرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وخِطَابِهِ : « سِيرُوا ؛ سَبَقَ ٱلْمُفَرِّدُونَ » ، ويَرتَقِي مِنَ السُّلوكِ إلى السَّيرِ .

والسَّيرُ المَأمُورُ بِهِ : تَجرِيدُ التَّوحِيدِ ، ونَفيُ رُسُومِ الأغْيارِ في النَّفعِ والإضرارِ ، والمنعِ والإيثارِ ، وعندَ ذٰلكَ تَقوَىٰ جَواذِبُ بَاطنِهِ إلى الحَضْرةِ الإلٰـهيَّةِ ، وتُطالِبُهُ جَواذِبُ الرُّوحِ بِالسَّيرِ إلىٰ مَحلِّ العِندِيَّةِ ، فيَبتدِئُ بِالسَّيرِ .

وأَوَّلُ السَّيرِ : تَحقُّقُ الزُّهدِ في الدُّنيَا بِرفضِ الجَاهِ والمَالِ ، ثمَّ مُجانبةِ خَفِيِّ الهَوَىٰ ودَقِيقِ شَرَهِ النَّفسِ وشَهواتِهَا الخَفِيَّةِ ؛ فبذٰلكَ يَتحقَّقُ بِالزُّهدِ ، ويَتحقَّقُ بالسَّيرِ ، ويُـرزَقُ عندَ ذٰلكَ دَوامَ المُرَاقبَةِ لِلرَّقِيبِ ، ودوامَ التَّطلُّعِ إِلَىٰ حَضرَةِ الحَبِيبِ ، ويُفتَحُ عليهِ في هٰذا المَقَامِ بَابُ التَّعرِيفَاتِ الإلٰـهِيَّةِ ، ويُبادَأُ بالتَّجلِّيَاتِ الخَفِيَّةِ ، ويَنكَشِفُ لهُ صِرْفُ التَّوحِيدِ بتَجرُّدِ فِعلِ اللهِ تعالىٰ ، ويتَجلَّىٰ لهُ الحَقُّ بِطَرِيقِ الحَوادثِ والعَوارِضِ إذا صارَ الحَقُّ عِندَهُ هو الفَاعِلُ حَقيقةً ذَوقاً وحالاً ، لا نظراً وعِلماً ، وهٰذا هو التَّجلِّي بِطَرِيقِ الأفعالِ ، ويَدخُلُ في مَحوِ فِعلِ نَفسِهِ ؛ كمَا يدخلُ في مَحوِ فِعلِ غيرِهِ .

ويَرتَقِي إلى المقامِ الثَّانِي في السَّيرِ : وهو التَّوكُّلُ على الوَكِيلِ ، والتَّفويضُ إِلَى الكَفِيلِ ، ثمَّ تَعُوقُهُ النَّفسُ في مَنزِلِ التَّوَكُّلِ في سَيرِهِ عن صِدقِ السَّيرِ بِوُجُودِهِ مُزاحَمةً يَسيرَةً ، فَيَتخطَّىٰ مَنزِلَ التَّوكُّلِ في سَيرِهِ إلىٰ مَنزِلِ الرِّضَا ، وَفي كلِّ مَنزِلٍ مِن هٰذه المَنازِلِ في سَيرِهِ يَذُوبُ جُزءٌ مِنْ وُجودِهِ ، ويَضْمَحِلُّ شَيءٌ مِنْ كَونِهِ ؛ حتَّىٰ يَنتهِيَ سَيرُه فَينتهِيَ مَا مِنهُ بِانتِهاءِ سَيرِهِ ، ثمَّ يَبدُو لهُ ما مِنَ اللهِ تعالىٰ مِن غيرِ مُكتَسَبِهِ[1] ؛ وهو مَقامُ المُفرِّدِينَ المَحكُومِ لهُم بِالسَّبقِ في قَولِهِ صلى الله عليه وسلم : « سَبَقَ المُفَرِّدُونَ »[2] ، فكانَ سَبْقُهُم لسابقتِهِم ، ومِنْ سَابِقَتِهِم مَحضَ المَوهِبَةِ[3] ، والموهِبةُ لا سَيرَ فِيها .

---

(١) في (ب) : عبارتُها : (ثُمَّ يبدأ له مِن وجودٍ من غيرِ مكتَسبِه) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٨٨٣) .

(٣) في (ب) : (فكان سبقهم لسابقهم محض الموهبة) .

والسَّيرُ : جِدُّ العَبدِ .

والمَوهِبَةُ : تَدارُكُ الحقِّ ، وفي تَدارُكِ الحَقِّ طَيرٌ لا سَيرٌ .

والطَّيرُ ليسَ مِنْ شُغْلِ الآدَمِيِّ ؛ وإنَّما شُغْلُ الآدَمِيِّ في السَّيرِ ، فإذَا صارَ طَيراً . . صارَ فِعلُ الحقِّ سُبحانَهُ وتعالىٰ في الطَّيرِ مُكَاشَفةَ الرُّوحِ بِصَريحِ الفُتُوحِ .

وأَوَّلُ ذٰلكَ : المحبَّةُ الخاصَّةُ ، غيرُ المَحبَّةِ العَامَّةِ المُفسَّرةِ بامتثَالِ الأمرِ ، وهٰذه المحبَّةُ خَاصَّةٌ لِخواصِّ مِنْ أهلِ القُرْبِ والطَّيرِ ، وفي هٰذا الطَّيرِ نَوازِلُ ، وَلَوامِعُ ، وَلَوائِحُ ، وَطَوالِعُ ، وَتَلويناتٌ [1] ، وهٰذهِ التَّلويناتُ عَامُّ وصْفِ الطَّائرِ [2] .

وفيها تَجلِّياتٌ بِطَريقِ الصِّفاتِ ، ويَكونُ فيها ما يَظهرُ مِنَ الهَيبةِ والأُنسِ والِابتِهَاجِ والوَجْدِ وغيرِ ذٰلكَ .

ونَفسُ الطَّائرِ مُطمَئِنَّةٌ ، ونَفسُ السَّائرِ لَوَّامةٌ ، ونَفسُ السَّالكِ والمُحِبِّ والمُجتَهِدِ مُتَرَدِّدةٌ ؛ تَارةً لَوَّامةٌ ، وأُخرَىٰ أَمَّارةٌ ، إلىٰ أن تَسلَمَ بها نَسْمَةٌ مِنَ الطُّمَأنِينَةِ .

وفي مَقامِ المُفرِّدِينَ تَجلِّي الصِّفاتِ ، ووصفُهُمُ الخَاصُّ الِاستِهتارُ ، وفيهِ لَوَامِعُ مِنْ تَجلِّياتِ الذَّاتِ ، وذِكرُهُمُ الَّذِي استُهتِرُوا بهِ ذِكرُ الذَّاتِ ، غيرُ ذِكرِ اللِّسانِ وذِكرِ القلبِ المَحدُودِ والمَخصُوصِ [3] ؛ بِصِفَةٍ مَخصُوصَةٍ واسمٍ مَخصُوصٍ ؛ لأنَّهُم حَيثُ استُهتِرُوا بِالذِّكرِ . . لم تَحوِهِم حُدودُ الأسماءِ والصِّفاتِ ، ولم يَسَعْهُم غيرُ أقطارِ ذِكرِ الذَّاتِ ؛ فَصارَ لَهُم طَيرَانٌ في جَوِّ فَضَاءِ القُرْبِ في مُتَّسَعٍ غيرِ مَحدُودٍ ، مُتَّصِلٍ أَزَلُهُ بِأَبَدِهِ ، وأَبَدُهُ بِأَزَلِهِ ، فَاحتَرقَتْ أَوزارُهم ، وصَفَت أَسرارُهُم ، وتَكامَلَتْ أَنوَارُهم ؛ فَطَيَرانُهُم وصفُ البَاطنِ ، وسَيرُهُم وَصفُ الظَّاهرِ ، وطَيرَانُهم

---

(١) انظر في تفسير هٰذه المصطلحات « الرسالة القشيرية » (ص ٢٧٢) .

(٢) في (أ) : (وهٰذه التلوينات عَلَمُ عامِّ وصفِ الطائر) .

(٣) في (ب) : (المَحصُور) .

حَظُّ الأَرواحِ ، وسَيرُهُم تَقويةُ القُلوبِ ، وسُلوكُهُم تَهذِيبُ النُّفُوسِ ، واجتهادُهُم أوَّلُ الأمرِ وأساسُهُ ، فالطَّائرُ سَائرٌ وسَالِكٌ ومُجتهِدٌ .

ومَنْ أشارَ إلىٰ شَيءٍ مِنَ الطَّيرِ مُنخَرِمٌ عليهِ قَاعدَةُ الإجتهادِ بِتَحقُّقِ مَبانِي الإسلامِ . . فهو مُدَّعٍ كذَّابٌ ، إلَّا أنْ يكونَ مُفتَّناً تَوَّاباً[1] ، مَنْ طلبَهُ بالعُبودِيَّةِ . . لا يَجِدُه ، ومَن طلبَهُ بهِ . . يُوشِكُ أنْ يَجِدَهُ .

اَلـذِّكْـرُ يَـمْـنَـعُـنِـي وَاَلْـجُـودُ يُـطْـعِـمُـنِـي[2] وَاَلْـحَـقُّ يَـمْـنَـعُ عَـنْ هَـٰذَا وعَـنْ ذَاكَـا
فَـلَا وُجُـــودٌ وَلَا ذِكْـــرٌ أُسَـــرُّ بِـهِ أُخْـبِـي فُـــؤَادِي إِذَا نَـادَيـتُ إِيَّـاكَـا[3]

تمّت الرّسالة بحمد الله وعونه ، قدّس الله سرّ منشئها
ونفعنا به والمسلمين ، آمين

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي مخطوطُ (ب) . وختَمَها بقوله : (تمَّتِ « الرِّسالةُ الطَّيرِيَّةُ » بحمدِ اللهِ وحُسنِ تَوفيقِه) .

(٢) الجودُ والجهدُ : مصطلحانِ مُتقابِلانِ عند السَّادةِ الصُّوفيَّةِ ، يُعبِّرانِ عن حدودِ عَملِ العبدِ في مِعراجِهِ الرُّوحيِّ ، ويُعبِّرانِ عن أنَّ هٰذا المِعراجَ لا يُدركُ بمُجرَّدِ الجهدِ البَشريِّ فحَسْبُ ، وإنَّما يحتاجُ أن يُكمَّلَ و يُكلَّلَ بالتَّوفيقِ ؛ فيُعنَىٰ ويُرعَىٰ بعنايةِ اللهِ ورعايتِهِ الَّذي يُعبَّرُ عنه بـ (الجودِ الإلٰهيِّ) .
بل إنَّهم يرونَ أنَّ الجهدَ لا يكفي وحدَهُ إن لم تَحُطهُ وتَلحَظهُ العِنايةُ الإلٰهيَّةُ ؛ فيقولونَ : إنَّ الجهدَ تَجلٍّ مِن تَجلِّياتِ الجودِ الإلٰهيِّ ، ونجدُ هٰذا التَّعبيرَ في مقولةٍ لأبي يزيدَ البِسطاميِّ : (كنتُ أظنُّ أنِّي أحبُّهُ وأعرفُهُ وأطلبُهُ ، ولما انتهيتُ . . عرفتُ أنَّه هو الَّذي يُحِبُّني ويعرِفُني ويَطلُبُني) ، فما كان العبدُ ليُحِبَّ اللهَ أو يُفكِّرَ في المعراجِ الرُّوحيِّ إليه لو لمْ يُوفِّقْهُ اللهُ ، وهٰذا التَّوفيقُ دَلالةٌ علىٰ عِنايةِ اللهِ تعالىٰ له ورعايتِه إيَّاه .
وما رسالةُ « السَّيرِ والطَّيرِ » إلَّا بيان وإظهار لهٰذينِ الجانِبَينِ مِن خِلالِ وصفٍ كاملٍ شاملٍ للسُّلوكِ أو المعراجِ الرُّوحيِّ ، ولذا ناسبَ أن يختمَ المصنِّفُ رسالتَه بهٰذينِ البَيتينِ .
فالسَّيرُ يُقابِلُه الجهدُ ، والطَّيرُ يُقابِلُه الجودُ ، وبهما معاً يَتدرَّجُ العبدُ ويترقَّىٰ في منازلِ القربِ ويُوصَلُ ، وإن كان بابُ الوصلِ والوصولِ مِن خِلالِ الجودِ مَقصوراً علىٰ مَن لاحَظتْه العِنايةُ الإلٰهيَّةُ دون غيرِه ، وقوله : (يطعمني) كذا في الأصل ، ولعله : (يطمعني) .

(٣) البيتان لأبي الحسن النوري . انظر : « متصوفة بغداد » لعزيز السيد جاسم (ص ١٤٠) ، وهما من البسيط .